

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ

إشكالية المحقق البروجردى تجاه سائر الدواعي

لقد أسلفنا أن المحقق الآخوند قد أذعن بإمكانية «اتخاذ سائر الدواعي ضمن المتعلق عقلاً» ولكنه قد صرح بانعدام الدليل الإثباتي في حقها، بينما المحقق البروجردى وتلامذته - الوالد المحقق الأستاذ والمحقق الخميني - قد هتفوا باستحالتها الثبوتية أيضاً - كقصد الأمر - فاستشكل السيد قائلاً:

«إشكالات الباب تعم أخذ سائر الدواعي في الأمور به: اعلم أنهم خصصوا إشكال الباب بصورة أخذ داعي الأمر في الأمور به و لكن الظاهر أن الإشكالات الواردة في مقام الامتثال لا تختص به، بل تجري في أخذ سائر الدواعي أيضاً.

فكما ترد الإشكالات فيما إذا تعلق الأمر بالصلاة «بداعي الأمر» ترد أيضاً فيما إذا تعلق بالصلاة بداعي حسنها أو محبوبيتها أو كونها ذات مصلحة، إذاً الأمر بعد تعلقه بالفعل المقيّد بإتيانه بداعي الحسن أو المحبوبة أو كونه ذا مصلحة، يُستكشف منه أن الحُسن و المحبوبة و المصلحة إنما هي للفعل المقيّد، لا لذات الفعل (البحث) لعدم جواز تعلق الأمر إلا بما يشتمل على المصلحة و يكون حسناً و محبوباً (إن فقد توقّف الأمر عليها كقصد الأمر) و لا يجوز تعلقه بأعم من ذلك، و حينئذ ترد الإشكالات بعينها:

Ø أمّا الدور، فلأن داعوية حُسن الفعل مثلاً تتوقّف على كونه حسناً (ذاتاً لا بنفس أمر الأمر) و كونه حسناً يتوقّف على داعوية الحُسن، فيدور (الأمر مع قيده إذ تحقق الحُسن يتوقّف على قصد الحُسن و هذا القصد مرهون حسنه الذاتى سابقاً).

Ø و أمّا عدم القدرة في مقام الامتثال، فلأن إتيان الصلاة مثلاً بداعي حسنها يتوقف على كون الذات حسنة، و المفروض أن الحُسن إنما هو للفعل المقيّد (أي نفس الصلاة مقيّدة بالقصد و لهذا سيتوقّف الذات على قصد الحسن أيضاً نظراً «لتحقق المقيّد») و بذلك يظهر تقرير التسلسل أيضاً.

بل يمكن أن يقال: إن المحذور في مثل داعي الحسن و نظائره أشدّ من المحذور في «داعي الأمر» فان الإشكال في باب «داعي الأمر» كان ممكن الدفع عندهم (كصاحب الكفاية) بالالتزام بوجود أمرين: تعلق أحدهما بذات الفعل، و الآخر بإتيان الفعل بداعي الأمر الأوّل، كما سيأتي بيانه (و لكنّا قد أسلفناه) و أمّا إشكال داعي الحُسن و أمثاله فلا يدفع بذلك (بتعدّد الأمر) و ذلك لأنّ الأمر لمّا كان من الأفعال الاختيارية للأمر كان لأحد أن يقول: بصدور أمرين عنه: تعلق أحدهما بأعمّ ممّا يُحصّل الغرض أعني: ذات الفعل (بلا قصد أساساً) و الآخر بما يُساويه أعني: المقيّد بداعي الأمر، و لكنّ الحُسن و المحبوبة إنما يتحققان فيما يحصل الغرض (النهائي للمولى) و لا يعقل تحققهما في أعمّ منه (الغرض و عدمه).»[1]

و في هذه الجادة أيضاً، قد قرّر المحقق الخميني نفس الإشكاليات و البيانات ضمن منهاج الأصول.[2]

و بتحرير آخر: قد تمكّن صاحب الكفاية ضمن أبحاث «قصد الأمر» أن يُفكّك بين الأمر الأوّل والثاني فإنّ الأوّل قد أنجز الغرض النهائيّ - سواء قصد نيّة الامتثال أم لا - إذ ذات الفعل كان يُعدّ أوسع من قيده، بينما المولى في «بقية الدواعي» لا يُتاح له أن يأمر بصلاة عباديّة بمفردها سواء حظيت بالمصلحة أم بدونها، إذ لا يُعقل امتثال عمل عبادي بدون قصد حسنه الذاتي و مصلحته الذاتيّة، فعلى أساسه لم يُجد الأمر الثاني حلاًّ لنا.

و لكن نصدّ إشكاله:

• أولاً: إنّنا نمتلك عنصرين منفصلين: «الحسن الذاتيّ و قصد الحسن» فلم يرتب أحدهما على الآخر أبداً إذ قد تغيّر الموقف به - الأمر - مع الموقف عليه - القصد - بلا توقّف بينهما.

• ثانياً: إنّ «قصد الحسن أو المصلحة» لا يولدان العباديّة لعمل، فلو شككنا في عباديّة شيء فلا يُكوّنان العبوديّة و التقرب إطلاقاً - وفقاً لتصريح المحقّق الاصفهانيّ - فلا يتشكّل أيّ توقّف و دور تجاه الآخر.

• ثالثاً: أساساً إنّ هناك مائزين أساسيين بين «داعي الأمر و سائر الدواعي»:

Ø حيث إنّ بقية الدواعي - الحسن و المصلحة و المحبوبيّة - متوقّرة في كُنه المأموره ذاتاً - لا أنّها قيد المأموره - إذ المفترض أنّ حسن المأموره يُعدّ ذاتيّة فلا يتوقّف أساس العمل على قصد الحسن و المصلحة كما زعمه المحقّق البروجرديّ [3] بينما قصد الامتثال و داعي الأمر، لم يكمُن في كُمون المأموره ذاتاً و لهذا قد انفتح مجال تصوّر الدور فيه، إذ داعي الأمر يُعدّ قيداً، فبالتالي فلنُفكّك ما بين داعي الأمر و بين سائر الدواعي كي لا نتورّط في الدور الذي زعمه السيّد الجليل، فنظراً لهذا الانفكاك سيُعدّ الدور المذكور - ضمن نهاية الأصول و المناهج و... - خطأً جلياً.

Ø سيوافيك لاحقاً.

[1] بروجردی حسین. نهاية الأصول. Vol. 1. ص114 تهران - ايران: نشر تفكر.

[2] ج1 ص272

[3] أجل إنّ «قصد الحسن» هو المتوقّف على الحسن الذاتيّ أولاً لا عكساً فإنّ الحسن الذاتيّ لا يرتب على قصده (الأستاذ المعظم).